

قصر أنطونيادس

للدكتور زكي مبارك

يهمني من الأسكندرية غير الشواطئ ، ولا كنت أتصور أن فيها مكاناً أبهج من محطة الرمل . عليها تحية الحب !
الصورة التاريخية هي التي دفعتني إلى رؤية قصر أنطونيادس
لأن كتب عنه كلمة توضح بعض ملامحه لمن يجهل من أحواله
ما كنت أجهل ، وما أكثر ما أجهل من أحوال بلادي !

منطقة شمسية

أخذت العربية طريقها بمحاذاة نادى سبورتنج ، ثم اتجهت
شرقاً إلى ناحية خفق لها قلبي ، القلب الذي تذكر أنه زار تلك
الناحية في الليالي البواسم قبل أن تولول أبواق الحرب !
نعم ، هذا كازينو النزهة ، وهذى موسيقا الرقص في
ضخوات الآحاد ، بعد أن امتنع فيه الرقص بالليل
وتلك طيوف الماضي تعاودني برفق أو بعنف ، قد كان لي
في ذلك الكازينو ذكريات

متى تعود أيامي ؟ متى تعود ؟

من حق الأيام أن تنتقم مني ، فقد أكرهتها على أن تكون
في مذاقي رحيقاً في رحيق ، وهي بلوؤها تريد أن تكون غسليناً
في غسلي

وهل استطاعت الحياة أن تنتقم مني ؟

وكيف وهي مثقلة بالديون لقلبي ؟

نحن نتدع الحياة بأفكارنا وأحلامنا ، لنجد ما نصوره
بأقلامنا ، فإن فكرت الحياة في أن تمن علينا فلتعزج وتتردع
فليس لها في أعناقنا جميل ، وإنما نحن أصحاب الجليل

إن الإنسان خليفة الله في الأرض ، ونحن لا نتخترع هذا
القول ، فقد جهر به القرآن المجيد ، فما مصير الحياة لو عاشت
بلا أبناء ، ونحن وحدنا الأبناء الأصلاء ؟

إن خطيئة أبنينا آدم كانت نعمة على هذه الأرض ، فما كان
للأرض تاريخ قبل أن يهبط إليها من الفردوس ، وما صنع
إلا لأنه مجرعة نفيسة من الآراء والأهواء ، والحقائق والأباطيل
بإرادة إلهية خلقناك خلقاً يا هيذه الأرض ، وصيرناك
مؤتمرات سلام وميادين حروب

هو أنطونيادس ، بالذال لا بالذال ، في النطق اليوناني ،
ونحن ننطقه بالذال على أسلوبنا في المراوحة بين هذين الحرفين ،
كما تقول : دا ، في مكان ذا ، وكما تقول : دي ، في مكان ذى ،
وكما تقول : خد ، في مكان خذ ... وكان ذلك لأن الدال أخف
في النطق من الذال ، لا نحتاجنا إلى بروز اللسان بين الأسنان .
أترك هذه الفائدة اللغوية لأواجه الموضوع فأقول :

كانت أيام الصيف الماضي أيام أعياد لقصر أنطونيادس ،
فقد ورد اسمه صرات وصرات في الجرائد المصرية والسورية
والحجازية والعراقية ، إلى آخر ما هنالك من الجرائد التي تصدر
باللسان العربي ، ثم ورد اسمه أيضاً صرات وصرات في الجرائد
التي تصدر بالفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية واليابانية
والسينية ، إلى آخر ما هنالك من الأسنة التي يهتم أصحابها
بالمشكلات الدولية

ونحن نعرف الأسباب التي جمعت لقصر أنطونيادس هذه
الثناء التاريخية ، فقد كان المكان المختار لمشاورات الوحدة
العربية ، المشاورات التي اشترك فيها رجال يمثلون العراق
والشام والحجاز ... ولو تمهلت الحوادث لاشترك فيها رجال
يمثلون لبنان قبل أن ينتهي ذلك الموسم الجليل

وأنتم رأيتم الصور التي سجلت بعض المناظر لأولئك
المتشاورين ، ففي الجانب المصري يجلس رفعة النحاس باشا
ومعالى الهلال باشا وسعادة الأستاذ محمد بك صلاح الدين ،
وفي الجانب العراقي أو السوري أو الحجازي يجلس من اختارهم
أنتهم لتلك المشاورات ، ثم يكونون ضيوف الحكومة المصرية
في قصر أنطونيادس ، إلى أن تنتهي مهمتهم الرسمية

فما هو قصر أنطونيادس الذي شغل الجرائد والمجلات
والإذاعات والبرقيات عدداً من الأسابيع في الصيف الذي سلف ؟
أعترف بأنني ما كنت رأيت ذلك القصر من قبل ، فلما كان

معرفة الورد

هي حديقة نموذجية تذكرنا بالجوانب الوردية من حديقة
لكسمبورج في باريس ، وقد هجمت الورد بسبب قسوة الشتاء
الآن عرفت ما لم أكن أعرف
عرفت أن البرد يؤذي أهل الرقة واللفظ ، وينفع أهل
القسوة والنف

الآن عرفت كيف كان العرب يصفون المرأة الرقيقة بأنها
« تؤوم الضحى » ، ومعنى ذلك أنها لا تستطيع الاستيقاظ في
برد الصباح ، لأنها في رقة الورد ، والورد لا يستيقظ في
ساعات البرد

هل تذكرون حياة النمل ؟

إن النمل تكون من المعالقة في الصيف ، ثم تأوى إلى
مساكنها المظلمة في الشتاء

ولا كذلك بنو آدم ، فقوتهم في الشتاء لا في الصيف ، ومن
هنا جاءت فكرة « عيد الميلاد » ، وهي تعبير عن نزعة إنسانية .
قبل أن تكون تعبيراً عن نزعة مسيحية ، فإي عرف أحد بالضبط
في أي شهر ولد المسيح ، لأنه ولد قبل أن يلتفت الناس إلى
تقيد الموالي

البرد هو الذي نفع روسيا فنصرها على نابليون ، وقد ينصرها
على هتلر بعد حين .

وتأخر البرد في هذه السنة آذى المزارع المصرية بمض
الإيذاء ، لأن في الدفء حياة للديدان ، وحياة للنمل ، وحياة
للذباب ، وفي حياة هذه المخلوقات جور على أرزاق الناس
البرد هو الذي يملأنا كيف نستمع لمقاومة الثقلبات الجوية ،
وهي ثقلبات لا ينتصر عليها غير من يتدثرون بالأشواب والقلوب
وآية « يا أيها المدثر » تدل على أن الرسول تقطع قلبه للوحى
في ليلة شاتية ، وسنجد دليلاً على صحة هذا الافتراض ، إن كان
يحتاج إلى دليل

وهل تهجع الأرض في الشتاء كما يتصور الناس ؟

إن الحرارة تتحول إلى جوف الأرض فتعدها إمداداً صالحاً
للانبات والإبراق والإزهار والإثمار ، وسبحان من لو شاء
لكشف الحجاب عن حكمته العالمة في مداولة الأيام بين الصيف
والشتاء .

وهل تهجع شجيرات الورد كما تصورتها وأنا أجول في
حديقة الورد ؟

إنها تستجيم ، ولعلها تدير في نفسها الصور المنتظرة للربيع
المقبل ، كما يستجيم الفنان ليدير في نفسه الصور المنتظرة للربيع
الفكر والخيال

لا نوم ولا موت في هذا الوجود ، لأن الله خلقه لليقظة
والخلود .

لو زحزح الحجاب لحظة واحدة لرأينا جميع الموجودات في
اقتتال أو اعتناق ، وإن ظهر للعيون أنها غافيات

لم يرحم الشتاء غير طائفة قليلة من الأزهار ، فأبنا ما تصنع
النحل ، وتذكرنا أن النحل تمنح وهي تنهب ، لأنها تشر الزهر
بماني الحنان ، والحنان غذاء الجمال

تدخل النحلة إلى جوف الزهرة فتعصر ما فيها من رحيق ،
ثم تنتقل بسرعة إلى زهرة ثانية وثالثة ورابعة ، ولا تكف إلا
حين تغلبها النشوة فتصير إلى القرار والاطمئنان

والنحل ترك الخلايا من وقت إلى وقت ، وتساخر في طلب
الرزق ، ثم ترجع بدون أن تضل الطريق ، فسبحان من أوحى
إلى تلك الخلائق اللطيفة ما أوحى ، سبحانه سبحانه ، وإن كان
غنياً عن الثناء

التمثال

دخلنا الروضة الناعمة بسبب البرد ، فراعنا التمثال ، وأى
تمثال ؟

ذلك وثن أقيم لفتاة عارية تلتقي شاكيب المطر ، أو أكواب
الشمس ، في لحظة صفاء

تلك فتاة قتلت سبابها وهي تخضع لصانئ التماثيل ، وإلا
فأين هي اليوم ؟

بمخرج جنيناً أو بثلاثين سمحت الفتاة المسكينة بالجلوس على
تلك الصورة أسابيع وأسابيع ، ليصاغ منها ذلك التمثال

قلت للجنسان : افقع صناير التوافير لأرى كيف تنسل
هذه الشقراء

لقد كادت الفتاة تستيقظ لتتعلق بمنى ، فما تحدث عنها
شاعر قبل أن ترائي